المنمنمات عبر التاريخ والمنمنمات بالجزائر

أ. مدوح مغداد أ. العالم بن عزوز العايدي
جامعة الجلفة

يعرف الفن على أنه التعبير عن انعكاس الفكر بمستوياته المادية والذهنية والروحية في أعمال قائمة على عمليات إبداعية تهتم بإنتاج القيم الجمالية والتعبيرية، وله قواعده وأساليبه ومدارسه وقد جاء الفن ليؤدي غرضا خاصا ألا وهو تجسيد ما يقع على حس الإنسان أي ما يوجد داخل النفس البشرية ، ويعتبر الفن انعكاسا لصور الحياة.

ومن هنا الفن الإسلامي هو تشخيص صورة الإسلام للوجود، بشرط إتباع قواعد الإسلام الخاصة ليجسد لنا في الأخير أهدافا شريعة ويبرز لنا ذلك الانفعال الرائع و المتميز الذي يتفق مع الإسلام في الصورة للكون والإنسان والحياة.[11]

ويقول الأستاذ "محمد قطب" في تشخيصيه لمعنى الفن الإسلامي : (إن الفن هو الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصوير الإسلامي لهذا الوجود، وهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان)[22]

وقد أطلق الغربيون على الفن العربي الإسلامي تسميات عدة منها : الفن الشرقي ، الفن المغربي، الفن العربي، الفن المحمدي.

ولكن تسمية "الفن المغربي" تصلح فقط للفن الذي تمركز شمال إفريقيا وتبقى التسمية المقبولة هي الفن العربي الإسلامي والتي لها أكثر دلالة على أن الفن انتشر في جميع الدول الإسلامية، ومن ابرز سماته انه فن متنوع في الشكل ومتوحد في المضمون، ولكن هناك فروق واضحة حسب العصور والأقاليم والتقاليد التاريخية لكل أمة إسلامية.

وكانت بداية الفن العربي الإسلامي في العهد الأموي، حيث عرف الخلفاء الراشدون بزهدهم وتقشفهم وبعدهم عن الترف والمسرات، وقد أبدع الأمويون في فنهم حتى أنشئوا طرازا خاصا سمي باسمهم وهو ما يعرف باسم "الأسلوب الأموي".

وقد استمدوه من الفنون التي كانت رائجة والمعروفة في بلاد الشام في وقتهم كالفنون المسيحية والبيزنطية واليونانية والرومانية.

أما العصر العباسي (748 م) خطى الفن الإسلامي خطوة جديدة حيث سار باتجاه جديد مخلفا الطراز المسيحي في الفن العباسي، والتي تأثرت بدورها بالفنون المحلية القديمة في "المنطقة الرافدية" وخاصة الأساليب الفنية الفارسية وقد بلغ هذا الطراز أوجه عند تشييد مدينة "سمراء" لكنه سرعان ما تدهور عند ظهور الفاطميين عام (969م) في مصر حيث نشأ الطراز الفاطمي وازدهر في مصر والشام، وفيما بين القرنين 13 و 16م عم الطراز المملوكي الذي بلغ قمته في عهد "محمد ابن قلاوون" بمصر والشام، وعند قيام العثمانيين عام 1577م على دولة المماليك اخذ الفن طابعا جديدا بيزنطيا في العمارة وغلبت عليه ملامح فارسية في الرسم والعناصر، أما في الأندلس والمغرب العربي فقد عرف الطراز الأموي ازدهارا كبيرا. وعلى الرغم من انتشار الطراز العباسي إلا أن الفن المغربي الأندلسي بقي محافظا على سماته ولم يتأثر بالفن العباسي.

وفي عام 1090م عرف توحد شمال إفريقيا مع الأندلس والمرابطين واوجدوا طرازهم الخاص، ومن بعدهم جاء الموحدون وطرازهم الذي ظهر عام 1253 الذي كان كتكملة لطرازهم أي الطراز المغربي فيما عرف بعد بالطراز المغربي الأندلسي.

وعند مغادرة العرب للأندلس عام 1492 استمر فنهم وأخذ اسم "المدجنين"، أما في الشرق فقد قام على أنقاض الطراز العباسي "الأسلوب السلجوقي" في القرن 11م وقد عرفت إيران بعد هذا الطراز عديد الأساليب القومية المختلفة والتي كان من أبرزها "الطراز التيموري- الطراز المغولي" في القرن 13م، ومن بعدها ظهرت الدولة الصفوية التي عرفت استمرار إلى غاية 18م، وقد تأثرت الهند بالأسلوب الفارسي المغولي وهذا ما يتجلى لنا في تحفة "تاج محل"[3] . كما هو مبين في الشكل 1

والفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام... إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجه

هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان ، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.هو الفن الذي يهيء اللقاء الكامل بين "الجمال" و "الحق". فالجمال حقيقة في هذا الكون ، والحق هو ذرة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود"

كان ذلك مما جاء في مقدمة الكتاب ، ولم يقل المؤلف أنه يعتمد ذلك على أنه تعريف للفن الإسلامي ولكنا نجد في ثنايا الكتاب ، وفي أكثر من مكان ، التأكيد على مفهوم للفن اختاره المؤلف ، يقول فيه

"الفن في أشكاله المختلفة هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، أو من تصورهم لحقائق الوجود ، في صورة جميلة مؤثرة

وقال عن الفن الإسلامي: " إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود

وعلى الرغم مما توصل إليه الأستاذ قطب من تحديد لمفهوم الفن الإسلامي إلا أنه لم يرد أن يعطي ماتوصل إليه لقلب التعريف ويحاول الأستاذ محمد شمس الدين صدقي أن يعرفنا بالفن الإسلامي من خلال الحديث عن وظيفة هذا الفن فيقول :

" يجب أن يكون نقل أو إيصال أسمى وأفضل القيم والأفكار والمشاعر إلى اللآخرين بأسلوب جميل مؤثر بحيث يوفر عنصر المتعة إضافة إلى التأثيرفي سلوكهم وإرشادهم إلى الصراط الستقيم

ويحاول آخرون تعريف الفن الإسلامي عن طريق عدّ مجالات نشاطه.

والحقيقة : أنه ليس من السهل إيجاد أو صياغة تعريف للفن الإسلامي ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة العناصر التي ينبغي مراعاتها عند تلك الصياغة . وهذا كما أرى ماجعل الأستاذ قطب يلجأ إلى التعريف بالفن الإسلامي

لعل خير وسيلة تعرفنا على الفن الاسلامي ، هي الوقوف على خصائصه الذاتية [4]، وسماته المتميزة ومن خلال ذالك ، يمكننا استكمال صورته واضحة جلية، بعيد عن كل غبش أو التباس.

ونستطيع اجمال أهم هذه الخصائص بالنقاط التالية:

-يقوم هذا الفن على أساس عقيدة التوحيد ، وعلى تصور كامل للانسان والكون والحياة ، ولذا فلا مجال للباطل من وثنيات وخرافات واوهام وأساطير.

-ميدان الفن الاسلامي ليس هو (الضروريات) ولا (الحاجيات) بل هو مجال

(التحسينات) أو مايطلق على اسم (الكماليات)

وهذا التحديد لمكانة الفن ضروري ومهم ، حتى توضع الامور في نصابها وحتى لا يحصل خلل في التصور.

-ان وظيفة الفن هي صنع (الجمال) وحين يبتعد الفن عن أداء هذه الوظيفة ، فان حينئذ لا يسمى (فنا) ذلك أنه تخلى عن عملة الاصيل وقد نسميه (مهارات) أو)دقه[5]

يقول الاستاذ محمد قطب

"والفن الاسلامي موكل (بالجمال).. يتتبعه في كل شيء ، وكل معنى في هذا الوجود.الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس ، ولا ينحصر في قلب محدود.جمال الكون بنجومه وشموسه وما بينها من تجاذب وارتباط.وجمال الطبيعة بما فيه من جبال وأنهار وأضواء وظلال وجوامد واحياء.وجمال القيم والاوضاع والنظام و الافكار والتنظيمات.

كل ذلك الوان من الجمال يحتفي بها الفن الاسلامي ، ويجعلها مادة أصلية للتعبير.

بل هو يعرض الحياه كلها من خلال المعايير الجمالية، سواء بالسلب أو الايجاب."

-والفن في التصور الاسلامي (وسيلة) لاغاية ، والوسيلة تشرف بشرف الغاية التى تؤدي اليها ، ولذا فليس الفن للفن ،انما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة .. وفي سبيل الخير والجمال

- وللفن في التصور الاسلامي (غاية وهدف) اذ كان امر يخلو من ذلك فهو عبث وباطل ، والفن الاسلامي فوق العبث والباطل ، فحياة الانسان ووقته أثمن من أن يكون طعمة للعبث الذي لا طائل تحته.

-ان الغاية التي يهدف الفن الاسلامي الى تحقيقها ، هي ايصال الجمال الى حس المشاهد (المتلقي)، وهي ارتقاء به نحو الاسمى والاعلى والاحسن .. اي نحو الاجمل ، فهي الاتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والانتاج ، ورفض للهبوط.

-وكما أن للفن هدفا يسعى اليه ، فان له ايضا (باعثا) يدفع اليه ، هذا الباعث يغذيه جذران . جذر يمتد في اعماق النفس ، اذ من فطرة النفس البشير السعي الى الجمال .. وجذر اخر يغذيه المنهج الاسلامي الذي يهدف الى الجمال ..وهكذا يلتقي ما تصبو اليه النفس مع ماطلبه المنهج.. فاذا الانسان مدفوع الى تحقيق الجمال بفنه بباعث من رغبه النفس وباعث من امر الشرع باتقان العمل واحسانه.

-وللفن شخصيته المستقله ،فليس هو فرعا من الفلسفة ، أوفرع من فروع العلم - وان كان العلم هو بعض مايحتاجة الفنان - ولذا فليس من مهارات الفن البحث عن (الحقيقة) او الكشف عنها. وحينما يطلب اليه ذلك فقد حمل ما لا طاقة له قد يحدث ان يكون الفن في بعض الأحيان طريقا لاكتشاف حقيقة ما ، ولكن هذا ليس مهمة دائمة يكلف بها ؟.!

ان الذين جعلوا اكتشاف الحقيقة من اعراض الفن ، دفعهم الى ذالك تصورهم الخاطئ عن تحديد مكانة الفن ومهمتة

-والفن الاسلامي ينبع من داخل النفس ، فتجيش به العواطف والاحاسيس ،فإذا به ملء السمع والبصر ، وهو بهذا تعبير التزام وليس صدى لإلزام قهري او ادبي [6].

-بينا في (الظاهر الجمالي) ان ساحة الجمال هي الوجود كله ، وان الاسلام أوصل الجمال الى مجالات لم تعرفه من قبل ، ونؤكد هنا ان ساحة الجمال نفسها هي ساحة الفن ، وهي ساحة لا تضيقها الحدود ، ولا تحصرها الحواجز ، ذلك أنها ساحة منهج التصور الاسلامي

-والفن الإسلامي - بعد ذلك - لقاء كامل بين إبداع الموهبة ونتاج العقرية وبين دقه الصنعة ومهارة التنفيذ وحسن الإخراج .إنه اجتماع بين الذكاء المتقد وبين الخبرة والاتقان ، وبهذا يصل الفن الى ذروة الجمال .. إن أحد العنصرين - الموهبة والخبرة - قد يصل بنا الى إنتاج فني ، ولكنهما معا يصلان بنا الى جمال فني

تلك هي الاساسية العامة التي يرتكز عليها (الفن الاسلامي) بكل فروعه وهذا لايمنع ان يكون لكل نوع منه أسسه الخاصة به، إضافة الى ذلك هذه الاسس هي التي جعلت منه فنا متميزا له شخصيته المستقله وكيانه الذاتي.والى هنا يتجلى لنا أن الفن الإسلامي قد تحدد في جوانب أبرزها :

فن الزخرفة، الخط العربي، بالإضافة إلى المنمنمات، هاته الأخيرة التي تعد محورا لدراستنا والتي أبدع فيها المزوق "يحي بن محمود الواسطي" في مقامات الحريري 1237م.

1-1 المنمنمة :

عرفت المنمنمة على أنها الصورة الصغيرة التي توضح وتزين الكتب ذات الأهمية، وكثيرا ما تحدد موضوعات المخطوطات القديمة، وقد عرفها ابن منظور في معجمه "لسان العرب" حيث يقول: (نمنم الشيء أي زخرفه وزينه ووشاه برسوم ليكون جميلا ومقبولا لدى القارئ، أو المشاهد).

وتعتبر المنمنمة من التصوير الإسلامي وقد أظهر الفنان المسلم إبداعا متميزا وأسلوبا خاصا في مزجه بين الخط والصورة مما خلف لنا الشعور بالمتعة اتجاه المصور.

وقد وضعت المنمنمة لتزين المخطوطات القديمة من كتب علمية وأدبية ما بين القرنين 18 و 19م ويعتبر الكتاب الهندي "كليلة ودمنة" وهو كتاب هندي وضعه الفيلسوف "بيدبا" وهو يضم مجموعة من الأساطير الهندية والذي ترجم إلى الفارسية ومنه ترجمه ابن المقفع إلى العربية وهو أول كتاب عربي ظهرت فيه المنمنمات، وقد كانت المنمنمة أيضا توضح المضمون الأبي أو العلمي أو الاجتماعي أو غير ذلك من الموضوعات في العصور الوسطى، وتعتبر كصورة شخصية للحياة والبيئة والعادات والتقاليد والطقوس والأحداث التاريخية بالإضافة إلى العمارة والفنون، ومن هنا فهي تعتبر من الفنون التقليدية في البلدان الإسلامية وبعض البلدان الأسيوية والأوروبية، وتطورت بعدها المنمنمة لتصبح الفن المتميز والذي تناوله عدد من الفنانين معظمهم من أصول فارسية من أبرزهم الواسطي و "كمال الدين بهزاد" الذي أبدى اهتماما كبيرا للحياة اليومية للأفراد ومشاكلهم[7].

أما اليوم فقد أصطلح على المنمنمات اسم الرسوم الإيضاحية في الكتب العلمية والأدبية ولهذا فالمنمنمة تلعب دورا كبيرا في الشرح النص المكتوب وإيضاحه إضافة إلى هذا الفن فهي تزينه وتعطي لنا الجوانب الخفية عندما يعجز النص عن بلوغ أهدافه وهو ما يجسد الجانب التفسيري للنص، ولكن لها جانب أخر ألا وهو الجانب الفني حيث أنها تقدم لنا لوحة فنية تحمل في طياتها جملة من المفاهيم الجمالية والفلسفية وأساليبا تعبيرية فنية تخص الفكرة المتناولة وبهذا تكون المنمنمة قد زينت المخطوط وجعلت الكتاب مرغوبا به وهذا لما فيها من جمع لجمال الرسوم الملون وبراعة الخطوط وحسن تنسيقها مع عناصر التكوين.

2-1 المنمنمة عبر التاريخ :

وعن أصل هذا الفن فقد اختلفت أراء الباحثين عن مكان نشأته واهم مراحله، فمنهم من يرى بأنه فن صيني انتقل إلى إيران عبر التاريخ ولكن الرأي الأجدر بالذكر والأخذ بعين الاعتبار هو الذي يقول بأن المنمنمات قد شهدت مدا للتطور على غرار كل الفنون خلال العهود العباسية حتى وطأت في رسومات الداعية.

"ماني" الذي ولد ببابل سنة 216م وفي هذا المجال دائما يعتقد أن كلمة منمنمة كان مشتقا من اسم ماني لما عرف عنه بإرفاق الرسوم في ثنايا النصوص التي نجدها في كتابه المشهور الذي سمي "مانينامه" والذي يعني بالفارسية "كتاب ماني".

والمنمنمات هي لون من ألوان التعبير في الرسم جمعتها علاقة قوية بالفنون التصويرية الأخرى التي كان لها عديد المواضيع، ويعود لها الفضل في عكس المجتمعات الإسلامية وصورتها وهذا ما يوحي لنا عديد القراءات ومن بينها طراز العمارة التي كانت سائدة آنذاك.

ويبدو جليا أن الفنانين الإيرانيين قد تركوا بصماتهم الخاصة وذوقهم المتميز عن الفن الصيني الذي كان مشتهرا في الشرق الأوسط، وقد يكون الأتراك السلاجقة هم الذين روجوا لهذا الفن في إيران ومنه ترك الإيرانيون بصمتهم وطابعهم الخاص الذي يعرف الآن بفن المنمنمات الإيرانية التي لها عديد الجذور في مدارس التي نذكر منها : (المدرسة العباسية، المدرسة المغولية، المدرسة الصفرية، المدرسة العربية) وهي التي تنسب إلى هاته الأخيرة التي برعوا فيها الفنانون العرب وأبدعوا التصور والترقين والتزويق وهذا ما يتجلى لنا على زخارف الجدران والخشب والمعدن والخزف والعاج وخاصة المخطوطات التي بلغت حدها من الجمال في بلاد الشام العراقي والتي أبدع فيها الفنان "يحي بن محمود الواسطي".[8]

ونجد أن أقدم الأمثلة المرسومة تعود إلى أواخر القترة العباسية، والفاطميون في القرن 12م حينما كف المصورون في ذلك الوقت على معالجة مواضيع دنيوية لا دينية، لكن هذا لا يمنع من إبراز مواضيع ومناسبات دينية كالإسراء والمعراج وقصص الأنبياء والصحابة.

ويعود الاهتمام الكبير والمتزايد للمسلمين بفن المنمنمات كونه يرتبط ارتباطا وثيقا مع توسع الحضارة العربية الإسلامية وتعدد مؤلفات والكتب المترجمة باختلاف موضوعاتها ومن هنا تجلى لنا التناقض الكبير بين النساخ على تجميل وتحلية مخطوطاتهم، ويبدع الفنان في منمنماته ويبرز وسائله الفنية وقدراته الخاصة كلما تضمن المخطوط المعلومات العلمية أو الأدبية ومن هنا يبرز التعبير الجلي عن مفاهيم الحضارة العربية الإسلامية والقيم والمثل الدينية والفكرية في دينا الحنيف والتي تتجسد في التوحيد أو بعبارة أخرى "الوحدانية" وهو المفهوم الأساسي في نظرة المسلمين إلى الأمور ومن هنا جاء لنا الفنان المسلم بمفهوم جمالي يرتبط بالوحدانية، وهكذا صور الفنانون المخطوطات بتدرجات في حركة الخط اللين وابهروا في توزيع الألوان مع الخطوط ومنه اوجدوا صيغة رمزية للألوان تبرز لنا التدرج والإيحاء بالتناغم والحيوية من خلال عناصر التكوين.

ومن المعروف أن فن المنمنمات الإسلامية ينقسم إلى عدة مدارس منها : (المدرسة الصفوية، المدرسة المغولية الإيرانية، المدرسة العراقية، المدرسة الهندية، المدرسة المغولية).[9]

1-2/1 المدرسة العراقية : "مدرسة بغداد" ق 13م

وتعتبر هذه المدرسة هي الرائدة ولها الدلالة الكبيرة في فن المنمنمات ولقد انتشرت في المنطقة العربية الإسلامية ومن أهم مراكزها : بغداد ، الموصل، الموصل، دمشق، القاهرة، قرطبة، غرناطة، وهذا حتى بعد سقوط بغداد في أيدي المغول سنة 1258م، وقد كانت في بدايتها متأثرة بفن المنمنمات البيزنطي والفن الفارسي بالإضافة إلى الفن الصيني ومع مرور الوقت استقلت عن هذه التأثيرات وقد رسمت المنمنمات آنذاك بدون إطار يفعلها عن المخطوط ومن أهم مميزاتها الفنية نجد : أن الوجوه تتميز بالملامح السامية إضافة إلى شكلها المستدير ولون اللحاء الذي تارة كان أبيضا وتارة أخرى أسودا، بالإضافة إلى العيون الكبيرة التي تحمل جفونا بارزة ورموشا طويلة، وكثافة الحواجب والأنوف المعقولة الطويل وارتداء العمائم واللباس الفضفاض.

ونميز أيضا أن رسم الأشخاص كان بخطوط لينة وذات ألوان بسيطة ، دقيقة وبعيدة عن المبالغة وهذا من خلال التسطيح في العمل الفني[10]

ومن أبرز الكتب التي احتوت على الرسوم المنمنمة في هذه المدرسة نجد :

- مخطوط "كليلة ودمنة" : للفيلسوف الهندي "بيديا" ترجمه ابن المقفع وهو محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 3456
- كتاب "مادة الطب" : للطبيب اليوناني "لويس قورنس" 1229م ويوجد بمكتبة طوب قادو باسطنبول تحت رقم 2127 ويقال أن صانعه عبد الله بن الفضل
- كتاب "البيطرة" : لأحمد بن الحسن وقد تم نسخه من طرف علي بن حسن هبة الله في بغداد سنة 605 هـ - 1209م محفوظ في دار الكتب المصرية القاهرة به 39 صرة.
- كتاب "الأغاني" : لأبي الفرج الأصفهاني ويوجد بمكتبة "ملت كتباخه سي" باسطنبول تحت رقم 1566 ويعود تاريخ انجازه إلى 1218م-1219م.

- كتاب "الترياق": وهو منسوب إلى جالينوس من صنع شمالي العراق 1199م ويوجد بالمكتبة الوطنية باريس أو تحت رقم 2964.
- "مقامات الحريري" : (مجموعة شيفر) رسمت ببغداد وهي موجودة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 5847 وترجع إلى عام 1237م وتتألف من 99 صورة وقد رسمها الفنان الكبير "يحي بن محمود الواسطي" وهو من أشهر المصورين وخطاطي المنمنمات (انظر الشكل1).

لو اعتبرنا الفن التشكيلي أدبا تكتب فيه مئات الصفحات في لوحة واحدة، أداته الفرشاة، ومادته الألوان والأصباغ، تنبثق أبعاده ومدلولاته من واقع الشعب وتاريخه وانتمائه وأحلامه، لقلنا إن الفنانين التشكيليين الجزائريين برعوا في هذا الأدب وسجلوا فيه مئات الصفحات الخالدة التي انتزعت إعجاب خبراء الفن الغربيين .

قال أحد النقاد الغربيين وهو يصف الفن الجزائري: "إن رسامي الشرق كانوا من بين أفضل أولئك الذين إيتيان دينيه (الذي عرف بعد إشهار إسلامه باسم : ناصر الدين) - لوحة شخصية تمكنوا من تحويل أناملهم إلى عدسات .!"ولقد أقامت في الجزائر خلال القرن التاسع عشر نخبة من كبار المستشرقين والرسامين الغربيين الذين انبهروا بثراء البيئة الاجتماعية الإسلامية، وترك العديد منهم لوحات وأعمالا ناطقة تعبر عن انجذابهم إلى سحر هذه البيئة وعمقها وأصالتها وثرائها بالتراث المتميز، وكان من أبرز هؤلاء "دولاكروا" و"فرومنتين" و "سكاسريو" و "إيتيان ديني" وغيرهم من الذين أضافوا لمعروضات المتحف الوطني للفنون الجميلة أعمالا رائعة. ولقد بلغ تأثر بعضهم بهذه البيئة حد التمسك بالإقامة الدائمة في الجزائر لتدريس الطريقة الغربية في التعبير الانطباعي في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالعاصمة الجزائرية. ولقد ذهب الرسام الفرنسي الشهير "إيتيان ديني" في تأثره بهذا التراث إلى حد إشهار إسلامه عام 1913 وسمى نفسه "ناصر الدين"، ومات عقب أدائه لفريضة الحج عام 1929 ودفن في مدينة بوسعادة الجزائرية بعد أن أقام عدة معارض فنية في الجزائر وباريس أبرز من خلالها عمق التراث الإسلامي وأبعاده الحضارية والإنسانية[11] .

ولعل السمة الأساسية في الفن الجزائري الحديث، التي تبرز جليا في معظم الأعمال المعروضة في المتاحف وبيوتات الفن - إن لم نقل فيها جميعا - تكمن في أنه عبّ بعمق من منابع الفن الإسلامي الأصيل الذي كتب له أن يتطور على نحو مثير للإعجاب في دول المغرب الإسلامي كافة. وكانت فنون كتابة آيات القرآن الكريم بالخط العربي، المصبوبة في أطر من الزخارف الهندسية المتشابكة، إلى جانب تصوير المساجد والجوامع والأحياء الشعبية، تمثل المادة الرئيسة التي تناولها الفنانون ببراعة وثراء. ويمكن أن ينسب للفنانين الجزائريين فضل المساهمة البناءة في تطوير شكل الحرف العربي وأبعاد الهندسة الزخرفية بشكل مستمر خلال فترة متميزة دفعتهم فيها وطنيتهم إلى الإبداع أثناء سعيهم الدؤوب للتعبير عن انتمائهم وهويتهم .

الفن الانطباعي في الجزائر

وكانت محصلة هذه الجهود قد تمثلت ببروز فنانين مشاهير ذوي مدارس متميزة أثروا الحركة الفنية الجزائرية بمجموعات مهمة من التحف التشكيلية التراثية. وقد تكون أبرز سمات الفن الانطباعي في التشكيل الجزائري هي تلك محمد راسم – لوحة بعنوان : معركة بحرية ضد الفرنجة التي يتضح فيها الارتباط الوثيق والتناسق البنائي بين فن كتابة الخط وأبعاد الزخرفة الهندسية. ولعل من الخطأ التصور إن المدارس التشكيلية الجزائرية هي امتداد لنظيراتها المشرقية العربية أو الإسلامية، لأن المشاهد المتمعن في نتاجاتها سرعان ما يقع على تميزها الذي فرضته ظروف المنطقة وإيحاءاتها ومدلولاتها .وعلى الرغم من التركيز على الجانب الانتمائي في الفن التشكيلي الجزائري فإن الفنانين لم يكونوا متحجرين وصادين عن التأثر بالمدارس الفنية الغربية وأساليبها في

التعبير الانطباعي. ولقد سعى العديد منهم إلى توظيف هذا التزاوج بين المدرستين لتجديد الدم الذي كان يجري بحيوية في عروق الحركة الفنية الجزائرية ..

ضمن هذه البيئة من التمسك بالأصل والتراث، والانفتاح المقنن على الغرب ترعرع العديد من الفنانين التشكيليين الجزائريين الذين سنتعرض لسير وأعمال أهمهم .

ولد محمد راسم في العاصمة الجزائرية عام 1896. وهو ينحدر من أسرة عريقة في ضروب الفن التشكيلي سعت إلى إبراز التراث التقليدي والانتماء الإسلامي للشعب الجزائري. ويعد راسم من رواد المدرسة التقليدية حيث اهتم برسم المناظر الطبيعية والأحياء والزوايا الشعبية بالزيت

كما برع في فنون النمنمة والزخرفة، برزت قدراته الإبداعية أثناء عمله أستاذا في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة في مدينة الجزائر، وفاز بالجائزة الجزائرية الكبرى في الفن التشكيلي عام 1933، كما أحرز ميدالية الفنانين المستشرقين التي كانت تمنحها رابطة الفنانين الغربيين المقيمين في الجزائر لكبار الفنانين. وبلغ صيته أقاصي أوربا حيث منح العضوية الشرفية لجمعية الفنانين الملكية في إنجلترا. وأقام العديد من المعارض الشخصية في لندن وباريس وفيينا والقاهرة واستوكهولم وكوبنهاغن وأوسلو وتونس وفرصوفيا وبيروت وبغداد والجزائر. وتوجد العديد من أعماله الزيتية ومنمنماته في المتحف الوطني للفنون الجميلة في مدينة الجزائر وكمقتنيات في العديد من المتاحف وصالات العرض عبر العالم. وفي عام 1960 كثر كتابا بعنوان "الحياة الإسلامية في الماضي"، كما نشر عام 1971 كتابا مفصلا حول سيرته وفنه بعنوان "محمد راسم الجزائري ."

الهوامش

1 - أحمد مصطفى علي سيد القضاة (الشريعة الإسلامية والفنون) الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت "1408هـ - 1988م" ص31

2 - محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) الطبعة الشرعية السادسة، دار الشروق، بيروت "1403هـ - 1983م" ص06

3 - أنصار محمد عوض الله رفاعي (الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي) جامعة حلوان "1423هـ - أفريل 2002" ص65

4 - محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) الطبعة الشرعية السادسة، دار الشروق، بيروت "1403هـ - 1983م" ص09

5 - محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) الطبعة الشرعية السادسة، دار الشروق، بيروت "1403هـ - 1983م" ص53

6 أحمد مصطفى علي سيد القضاة (الشريعة الإسلامية والفنون) الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت "1408هـ - 1988م" ص31

7 - سسوزان العامري (المنمنمة من التزاويق إلى إبداعات الواسطي وبهزاد) مهرجان الفنون الإسلامية "للمنمنمات" الدورة 14 الشارقة 12ديسمبر 2013

8 - محمد حاخاك رند (المنمنات عالم الدهشة) مجلة الفنون العدد 18، 2002

9 - سسوزان العامري (المنمنمة من التزاويق إلى إبداعات الواسطي وبهزاد) مهرجان الفنون الإسلامية "للمنمنمات" الدورة 14 الشارقة 12ديسمبر 2013

10 - الدكتور أحمد الفجري (الإسلام والفنون) الطبعة الأولى دار الأمين ، مصر "1418هـ - 1988م" ص 116

1 مجلة الجيل العدد الثلث الحد المقدس اسيجام 1987